وفي الوقت نفسه تفشى وباء الإسقربوط في سفيازهسك فمات الكثيرون واسلم الناجون انفسهم للموبقات الجنسية . وما كاد الجيش يقع في هذه الخطيئة حتى ارسل المتروبوليت رسولا هو تيموثي يحمل الماء المبارك وامراً بإعادة الضالين إلى التوبة والندامة . والكتاب الذي ارسله المتروبوليت وحمله إلى تيموثي كتاب يلفت النظر جاء فيه ما يلي :

« بنعمة الله وحكمة قيصرنا وبسالة جيشنا استطعنا أن نرفع حصن الكنيسة فوق أرض عدوة . فقد أسقط الله قازان بين أيدينا وازدهرت احوالنا وغدونا مشهورين حتى صار الالمان واللتوانيون يخطبون ودنا . فكيف نستطيع أن نعبر عن حمدنا للعلي الأعلى لو أن ما تم لم يكن برعايته وتوجيهاته ؟ ولكن هل لاحظتموها انتم ؟. إن الشائعات أقلقت قلب المليك كما أقلقت قلبنا. فقد قيل إن نفراً منكم نسي مقت الله وغضبه فانغمس في الخطايا كما فعل أهل عمورية وسدوم وأن كثيراً من الفتيات والنساء ذوات المظهر المحتشم قدمن من قازان ليمارسن الفحش بينكم وان رجالاً منكم يقومون من أجل ارضائهن بإسقاط لحاهم بواسطة المقص منكرين في خنوثتهم أنهم من الرجال . ولكن الله سيعاقبكم ليس بالمرض فحسب وإنما بالخجل والعار. ماذا فعلتم بأمجادكم ؟. كنتم رعباً فيما مضى على عدوكم فغدوتم اليوم موضع سخريته وهزئه . إن الخطيئة تضعف الرجال الأقوياء والسلاح ينثلم عندما تهرب الفضيلة من القلب لقد ارتكبت اعمال شائنة ووجد بينكم خونة ... والله وإيقان والكنيسة يأمرونكم بالتوبة والندامة . اصلحوا من سلوككم وإلا ستعرفون غضب القيصر وتسمعون لعنة الكنيسة » .

ولاشك أن هذه الرسالة كتبت بالتعاون بين المتروبوليت والقيصر. ونحن نجهل ما إذا كان انحلال الأخلاق الروسية قد وقع بعد البأساء الناجمة عن الاسقربوط او أنها انتقلت إليهم من العادات التترية . على أن التتر كانوا في ذلك العصر اكثر فظاظة من الروس . فنحن نرى الشيخ علي الذي كان يسمي نفسه قيصر قازان سميناً لاهثاً نهماً صاخباً خائناً دموياً كسولاً نموذجاً لكل هذه الصفات . ولم يتعرض في موسكو لسوء